الباب الرابع

مسائل تتعلق بالتصوف والصوفية

س ٨٣

نرى كثيرًا أن طلبة العلم والمريدين يقبلون يد العلماء والمشايخ، فما مدى جواز ذلك؟

الجواب

صور إجلال الناس لأصحاب الحقوق عليهم تختلف باختلاف أعراف القوم وعاداتهم، فمثلاً نراهم في بلاد الجزيرة العربية يقبلون الوالد من أنفه إكرامًا له، ويقبلون رأس العالم، والأصل في كل ذلك الإباحة ما لم يرد نهي عن صورة مخصوصة يقع فيها المسلمون.

أما عن مسألة تقبيل يد العالم ؛فيجوز ذلك للعالم الورع، والسلطان العادل، والوالدين، والأستاذ، وكل من يستحق التعظيم والإكرام، فعن ابن عمر ﷺ أنه كان في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فذكر قصة قال: فدنونا من النبي ﷺ فقبلنا يده[1].

وقد أجمعت المذاهب الفقهية على عدم حرمة تقبيل يد العالم الصالح لدينه، وذهبوا إلى جواز ذلك واستحبابه، وفيما يلي النقل من المذاهب الفقهية المعتمدة:

فالحنفية صرحوا بجواز تقبيل يدل العالم الصالح على سبيل التبرك والكرامة، قال

(١) رواه أبو داود في سننه في موضعين : ج٣ ص ٤٦ ،و ج٤ ص ٣٥٦، والبيهقي في سننه الكبرى، ج ٧ ص ١٠١، وفي الشعب، ج٦ ص ٤٧٦، وابن أبي شيبة في مصنفه، ج٦ ص ٥٤١، وذكره البخاري في الأدب المفرد، ج١ ص ٣٣٨.

الحصكفي الحنفي: «(ولا بأس بتقبيل يد) الرجل (العالم) والمتورع على سبيل التبرك. درر. ونقل المصنف عن الجامع أنه لا بأس بتقبيل يد الحاكم والمتدين (السلطان العادل)»[1].

وقال ابن نجيم: « وتقبيل يد العالم والسلطان العادل لا بأس به؛ لما روي عن سفيان أنه قال: تقبيل يد العالم والسلطان العادل سنة »[2].

وذكر الزيلعي في تقبيل اليد ما نصه: «وأما على وجه البر والكرامة فجائز، ورخص الشيخ الإمام شمس الأئمة السرخسي، وبعض المتأخرين تقبيل يد العالم أو المتورع على سبيل التبرك، وقبل أبو بكر بين عيني النبي ﷺ بعدما قبض، وقال سفيان الثوري: تقبيل يد العالم أو يد السلطان العادل سنة، فقام عبد الله بن المبارك فقبل رأسه»[3].

قال محمد البابرتي الحنفي: «فأما على وجه البر والكرامة إذا كان عليه قميص أو جبة فلا بأس به. وعن سفيان رحمه الله: تقبيل يد العالم سنة، وتقبيل يد غيره لا يرخص فيه»[4].

وأما المالكية، فقد نقل عن الإمام مالك الكراهة، واتفق محققو المالكية مع الجمهور على جواز ذلك، وفسروا ما نقل عن الإمام مالك من الكراهة إن كان يفضي إلى الكبر، قال الأبهري: «وإنما كرهه مالك إذا كان على وجه التعظيم والتكبر»، وقال النفراوي: «ومنها تقبيل الأعرابي الذي قال: أرني آية، فقال: (اذهب إلى تلك الشجرة، وقل لها: النبي ﷺ يدعوك) فتحركت يمينًا وشمالاً، وأقبلت إلى النبي ﷺ وهي تقول: السلام عليك يا رسول الله، فقال له: (قل لها ارجعي) فرجعت كما كانت، فقبل الأعرابي يده ورجله، وأسلم» ،وغير ذلك من الأحاديث.

---

(١) الدر المختار، للحصكفي، ج٦ ص ٣٨٢ بحاشية ابن عابدين عليه.

(٢) البحر الرائق، لابن نجيم، ج٨ ص ٢٢١.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الحقائق، للزيلعي، ج٣ ص ٢٥.

(٤) العناية شرح الهداية، لمحمد بن محمود البابرتي، ج١٠ ص ٥٢.

إنكار مالك لما روي في تقبيل اليدين إن كان من جهة الرواية، فمالك حجة فيها لأنه إمام الحديث، وإن كانت من جهة الفقه، فلما تقدم ،وعمل الناس على جواز تقبيل يد من يجوز[1] التواضع له وإبراره، فقد قبلت الصحابة يد رسول الله ﷺ، ومن الرسول لفاطمة، ومن الصحابة من بعضهم، وظاهر كلامه ولو كان ذو اليد عالمًا، أو شيخًا، أو سيدًا، أو والدًا حاضرًا، أو قادمًا من سفر، وهو ظاهر المذهب»[2].

وقد صرح الشافعية باستحباب تقبيل يد العالم الورع، وكذلك كل صور الإجلال له ولغيره من أصحاب الفضيلة، قال النووي: « المختار استحباب إكرام الداخل بالقيام له إن كان فيه فضيلة ظاهرة من: علم، أو صلاح، أو شرف، أو ولاية، مع صيانة، أو له حرمة بولاية، أو نحوها، ويكون هذا القيام؛ للإكرام لا للرياء والإعظام، وعلى هذا استمر عمل السلف للأمة وخلفها (الرابعة): يستحب تقبيل يد الرجل الصالح، والزاهد، والعالم، ونحوهم من أهل الآخرة، وأما تقبيل يده لغناه، ودنياه، وشوكته، ووجاهته عند أهل الدنيا بالدنيا، ونحو ذلك فمكروه شديد الكراهة، وقال المتولي: لا يجوز، فأشار إلى تحريمه، وتقبيل رأسه ورجله كيده»[3].

ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام زكريا الأنصاري؛ حيث قال: (ويستحب تقبيل يد الحي لصلاح ونحوه) من الأمور الدينية كزهد، وعلم، وشرف، كما كانت الصحابة تفعله مع النبي ﷺ، كما رواه أبو داود، وغيره بأسانيد صحيحة. (ويكره) ذلك؛ (لغناه ونحوه) من الأمور الدنيوية: كشوكته، ووجاهته عند أهل الدنيا »[4].

وقال ابن قاسم العبادي: «يسن تقبيل يد العالم، أو الصالح، أو الشريف، أو الزاهد

---

(١) بالأصل تجوز بالتاء ،والصواب ما أثبتناه .

(٢) الفواكه الدواني، للنفراوي، ج٢ ص ٣٢٦.

(٣) المجموع، للنووي، ج٤ ص ٤٧٦، ٤٧٧.

(٤) أسنى المطالب، للشيخ زكريا الأنصاري، ج٣ ص ١١٤.

كما فعلته الصحابة مع رسول الله ﷺ ويكره ذلك لغني، ونحوه، ويستحب القيام لأهل الفضل؛ إكرامًا لا رياء وإعظامًا، أي تفخيما . ا هـ»[1].

والحنابلة صرحوا بجواز تقبيل يد العالم والسلطان، قال المحقق الحنبلي ابن مفلح: « أما تقبيل يد العالم والكريم لرفده، والسيد لسلطانه فجائز »[2].

وقال السفاريني: «قال في مناقب أصحاب الحديث: ينبغي للطالب أن يبالغ في التواضع للعالم ويذل له. قال: ومن التواضع تقبيل يده. وقبل سفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض أحدهما يد حسين بن علي الجعفي، والآخر رجله. قال الإمام أبو المعالي في شرح الهداية: أما تقبيل يد العالم والكريم لرفده والسيد لسلطانه فجائز، وأما إن قبل يده لغناه فقد روي: (من تواضع لغني لغناه فقد ذهب ثلثا دينه) انتهى»[3].

مما سبق يتبين أن تقبيل يد العلماء وأصحاب الحقوق مستحب، ولا داعي لاستنكاره؛ وإنما هي النفوس التي تعالت فأبت ما يعارض عزها. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) حاشية ابن قاسم العبادي على الغرر البهية، ج٤ ص ١٠٠.

(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح ج٢ ص ٢٦٠.

(٣) غذاء الألباب، للسفاريني، ج١ ص ٣٣٤.

س ٨٤

هل فعلاً رأس سيدنا الحسين عليه السلام مدفونة في مقامها الذي بالقاهرة ؟

الجواب

قضية «دفن رأس سيدنا الحسين رضي الله عنه بالقاهرة»، قضية تاريخية، وليست قضية شرعية، بمعنى أنه لا يجب على الناس أن يعتقدوا ذلك، فإنكار ذلك لا يترتب عليه كفر ولا إيمان، فمثلاً من قال إن الأهرامات ليست في مصر، بل هي في أي دولة أخرى، هل يكفر باعتقاده هذا؟ بالطبع لا، وإنما يكون جاهلاً للحقيقة.

يجمع المؤرخون وكتاب السيرة على أن جسد الحسين رضي الله عنه دفن مكانه في كربلاء، أما الرأس الشريف فقد طافوا به حتى استقر بـ «عسقلان» - الميناء الفلسطيني- على البحر المتوسط، قريبًا من موانى مصر وبيت المقدس.

وقد أيد وجود الرأس الشريف بـ «عسقلان»، ونقله منها إلى مصر جمهور كبير من المؤرخين والرواد منهم: ابن ميسر، والقلقشندي، وعلي بن أبي بكر الشهير بالسايح الهروي، وابن إياس، وسبط الجوزي ،والحافظ السخاوي.

يقول المؤرخ المقريزي: « نقلت رأس الحسين رضي الله عنه من عسقلان إلى القاهرة يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (٥٤٨ هـ) ،(الموافق ٣١ أغسطس سنة ١١٥٣)، وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم

واليها، وحضر في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخر المذكور (الموافق ٢ سبتمبر سنة ١١٥٣)... ويضيف قائلاً : فقدم به - الرأس - الأستاذ مكنون في عشاري من عشاريات الخدمة، وأنزل به إلى الكافوري (حديقة)، ثم حمل في السرداب إلى قصر الزمرد، ثم دفن في قبة الديلم بباب دهليز الخدمة... - إلى أن قال - وبنى طلائع مسجداً لها ـ يعني الرأس ـ خارج باب زويلة من جهة الدرب الأحمر، وهو المعروف بجامع الصالح طلائع، فغسلها في المسجد المذكور على ألواح من خشب، يقال إنها لا زالت موجودة بهذا المسجد[1].

وأما المتخصصون في الآثار فقد أكدوا ذلك، حيث قالت السيدة عطيات الشطوي - وكانت المفتشة الأثرية والمشرفة المقيمة على تجديد القبة الشريفة منذ بضع سنوات -: «تؤكد وثائق هيئة الآثار أن رأس الحسين ﷺ نقل من عسقلان إلى القاهرة، كما يقول المقريزي في يوم الأحد الثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (الموافق ٣١ أغسطس سنة ١١٥٣)، وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها، وحضر في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور (الموافق ٢ سبتمبر ١١٥٣م)».

وعثر الباحثون بالمتحف البريطاني بلندن على نسخة خطية محفوظة من «تاريخ آمد» لابن الأورق المتوفى عام ٥٧٢ هـ، وهي مكتوبة عام ٥٦٠ هـ، ومسجلة بالمتحف المذكور تحت رقم (٥٨٠٣) شرقيات، وقد أثبت صاحب هذا التاريخ بالطريق اليقيني أن رأس الحسين عليه السلام قد نقل من عسقلان إلى مصر عام ٥٤٩هـ - أي في عهد المؤرخ نفسه - بوجوده ومشاركته ضمن جمهور مصر العظيم في استقبال الرأس الشريف.

---

(١) تاريخ المقريزي، ج٢ ص ١٧١.

وقد ألف العلامة الشبراوي ـ شيخ الأزهر الأسبق ـ كتاباً أسماه «الإتحاف» أثبت فيه وجود الرأس بمقره المعروف بالقاهرة يقينًا، وذكر أن ممن أثبتوا ذلك هم: الإمام المحدث المنذري، والحافظ ابن دحية، والحافظ نجم الدين الغيطي، والإمام مجد الدين بن عثمان، والإمام محمد بن بشير، والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، القاضي عبد الرحيم، وعبد الله الرفاعي المخزومي، وابن النحوي، والشيخ القرشي، والشيخ الشبلنجي، والشيخ حسن العدوي، والشيخ الشعراني، والشيخ المناوي، والشيخ الأجهوري، وأبو المواهب التونسي وغيرهم.

وقد ألف فضيلة الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم رسالة في ذلك الموضوع أسماها: «رأس الإمام الحسين بمشهده بالقاهرة تحقيقًا مؤكدًا حاسمًا» وهي مليئة بالأدلة والبراهين التي يطمئن لها القلب.

ومن هذا العرض يطمئن القلب إلى ما ذهب إليه أغلب المؤرخين من كون رأس الإمام الحسين ﷺ تشرف القاهرة المحروسة، والحمد لله رب العالمين، والله تعالى أعلى وأعلم.

س ٨٥

هل هناك كرامات تحدث لبعض الصالحين في حياتهم، وهل تستمر بعد انتقالهم من الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية؟

الجواب

الكرامة: هي أمر خارق للعادة غير مقترن بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها، يظهره الله ﷻ على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم بالشريعة، حريص على متابعة نبيه ﷺ، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم.

فوضع العلماء قيود حتى يغلق الباب على المدعين، وحتى لا تتسبب مسألة الكرامة في الخروج من الدين، فأغلقوا باب دعوى الكرامة؛ إذ اشترطوا أن يكون ملتزمًا بالشريعة متابعًا لنبيه ﷺ والملتزم بالشريعة لا يدعي الكرامة، وأغلقوا باب الخروج من الدين ؛حيث اشترطوا أنها غير مقترنة بدعوى النبوة.

والإيمان بكرامات الأولياء من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، قال الإمام الطحاوي: «نؤمن بما جاء من كرامات وصح عن الثقات من رواياتهم»[1].

فإنكار كرامات الأولياء قد يخرج المسلم من الإسلام بالكلية، والإيمان بها من أصول عقيدة الإسلام، والفاعل للكرامات كالمعجزات إنما هو الله تعالى وحده لا شريك له، لكن أظهرها سبحانه وتعالى على أيدي أهل طاعته والامتثال بشرعه.

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ٤٩٤.

قال الإمام الجلال المحلي: « (وكرامات الأولياء) وهم العارفون بالله تعالى حسبما يمكن المواظبون على الطاعات، المجتنبون للمعاصي، المعرضون عن الانهماك في اللذات والشهوات (حق) أي جائزة وواقعة: كجريان النيل بكتاب عمر، ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند، حتى قال لأمير الجيش: يا سارية، الجبل الجبل، محذرًا له من وراء الجبل لكون العدو هناك، وسماع سارية كلامه مع بعد المسافة، وكشرب خالد السم من غير تضرر به، وغير ذلك مما وقع للصحابة وغيرهم. (قال القشيري: ولا ينتهون إلى نحو ولد دون والد) وقلب جماد بهيمة. قال المصنف: وهذا حق يخصص قول غيره : ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، لا فارق بينهما إلا التحدي، ومنع أكثر المعتزلة الخوارق من الأولياء، وكذلك الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، قال: كل ما جاز تقديره معجزة لنبي لا يجوز ظهور مثله كرامة لولي، وإنما مبالغ الكرامات إجابة دعوة، أو موافاة ماء في بادية من غير توقع المياه، أو نحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات»[1].

يقول ابن تيمية: «فقد بين النبي ﷺ أن القلب يكون فيه شعبة نفاق وشعبة إيمان، فإذا كان فيه شعبة نفاق، كان فيه شعبة من ولايته، وشعبة من عداوته، ولهذا يكون بعض هؤلاء يجري على يديه خوارق من جهة إيمانه بالله وتقواه، تكون من كرامات الأولياء»[2].

قال ابن مفلح في معرض ذكره لحديث إنشاد الضالة ما نصه: « قوله: من سمعتموه ينشد ضالة في المسجد؛ فقولوا: لا ردها الله عليه)، وقول ابن عمر ﷺ للقائل في الجنازة استغفروا له: (لا غفر الله لك). وقيل في قوله: لا هنيئًا، إنما هو خبر أي لم يتهنوا به في وقته، وفيه إثبات كرامات الأولياء خلافا للمعتزلة »[3].

بل ذكر العلماء أن من جملة هذه الكرامات الاطلاع على بعض الغيبيات، يقول

---

(١) شرح الجلال المحلي لجمع الجوامع، ج٢ ص ٤٨١.

(٢) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ج١ ص ١٩٤.

(٣) الآداب الشرعية، لابن مفلح، ج٣ ص ١٨٨.

العلامة ابن عابدين في تلك المسألة ما نصه: «قلت: بل ذكروا في كتب العقائد أن من جملة كرامات الأولياء الاطلاع على بعض المغيبات ،وردوا على المعتزلة المستدلين بهذه الآية[1] على نفيها بأن المراد الإظهار بلا واسطة، والمراد من الرسول الملك أي لا يظهر على غيبه بلا واسطة إلا الملك، أما النبي والأولياء فيظهرهم عليه بواسطة الملك أو غيره، وقد بسطنا الكلام على هذه المسألة في رسالتنا المسماة [سل الحسام الهندي لنصرة سيدنا خالد النقشبندي] فراجعها فإن فيها فوائد نفيسة، والله تعالى أعلم»[2].

وتلك الكرامات الثابتة للصالحين لا يوجد أي دليل على انتهائها بانتهاء حياة الولي في الحياة الدنيا، بل وجد الدليل على عكس ذلك، فيما ثبت أن الله عصم جسد عاصم بن ثابت ﷺ بعد موته فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدَّبْر[3]، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منا شيئًا»[4]. وهي صريحة في كرامة الله له بعد موته.

قال العلامة البيجرمي: « وقع السؤال في الدرس عما لو قرأ الميت آية سجدة كرامة فهل يسجد السامع له أم لا؟ قال: ويمكن الجواب بأن الظاهر الأول؛ لأن كرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، فلا مانع أن يقرأ الميت قراءة حسنة يلتذ بها، فحينئذ يشرع لسامعه السجود، وإن لم يكن الميت مكلفًا؛ إذ هي من المميز كذلك، فليس الميت كالساهي والجماد ونحوهما»[5].

---

(١) المقصود بالآية، قوله تعالى في سورة الجن : {عالِمُ الغيبِ فلا يُظْهِرُ على غيبهِ أحداً * إلا من ارتضى من رسولٍ } الآيتان : ٢٦، ٢٧.

(٢) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ حاشية ابن عابدين، ج٣ ص ٢٩.

(٣) الدَّبْر : النحل والزنابير . انظر : لسان العرب ،ج٤ ص٢٧٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ج٣ ص ١١٠٨، وابن حبان في صحيحه، ج ١٥ ص ٥١٢، والحاكم في المستدرك، ج٣ ص ٤٦٤، وابن أبي شيبة في مصنه، ج٧ ص ٩٧.

(٥) تحفة الحبيب على شرح الخطيب المعروفة بـ حاشية البيجرمي، ج١ ص ٤٣٣.

فالإيمان بكرامات الأولياء مما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، واعتبره علماء العقيدة أصلاً من أصول الاعتقاد، وإنكارها قد يخرج المسلم من دينه، كما أن إثباتها للأولياء بعد انتقالهم يقره صريح المعقول، وصحيح المنقول، والموت يطرأ على الجسد لا الروح، فلا يجوز إنكار كرامات أولياء الله الصالحين لا في حياتهم، ولا بعد انتقالهم، والله تعالى أعلى وأعلم.

س ٨٦

ما قيمة الرؤيا في الإسلام ؟

الجواب

الشريعة الإسلامية منهج ينظم جميع شئون الحياة المدركة في عالم الحس، فترى حكم الشرع يتطرق إلى جميع مجالات الحياة من الصناعة، والتجارة، والطب، والحياة الاجتماعية، ولم يقتصر على العبادات أو العقائد كما يظن البعض.

بل إن الشريعة الإسلامية اهتمت ببعد آخر في حياة الإنسان، وهو النوم وما يحدث قبله من أمور ندب إليها الشرع كالوضوء قبله، وذكر الله، والنوم على الشق الأيمن، كما اهتمت بما يحدث في النوم من مشاهدات، وخيالات، ومبشرات، ومحزنات، وهو ما يسمى بالرؤيا التي يراها النائم. فالشريعة الإسلامية لم تترك شيئًا ولو بسيطًا، ولو يراه بعضهم غير مهم إلا وفصلت فيه القول تفصيلاً، قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[1]. ولقد اهتم العلماء ببيان معنى النوم الذي هو الحالة التي يرى فيها الإنسان رؤياه، فقال ابن أمير الحاج: «والنوم وهو فترة تعرض مع العقل توجب العجز عن إدراك المحسوسات، والأفعال الاختيارية، واستعمال العقل»[2] وهو المراد بقوله: «عجز عن

(١) الأنعام : ٣٨.

(٢) التقرير والتحبير، لابن أمير الحاج، ج٢ ص ١٧٧.

استعمال القدرة» أي عن الإدراكات، أي: الإحساسات الظاهرة؛ إذ الحواس تسكن في النوم عن الحركات الإرادية، أي: الصادرة عن قصد واختيار، بخلاف الحركات الطبيعية، كالتنفس ونحوه. هذا فيما يختص بالنوم، أما ما يختص بالرؤيا فيتضح فيما يلي:

الرؤيا في اللغة:

الرؤية بالهاء: خاصة بما يدرك بحاسة البصر ،والرؤيا (بالألف) تستعمل فيما يدركه النائم غالبًا، وتجمع على (رؤى) بضم الراء والتنوين، وقد تستعمل قليلاً فيما يدرك بحاسة البصر.

الرؤيا في الشرع:

قال المازري: «إن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه يفعل ما يشاء، لا يمنعه نوم ولا يقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات، فكأنه جعلها علمًا على أمور أخر يخلقها في ثاني الحال، أو كان قد خلقها، فإذا خلق في قلب النائم الطيران، وليس بطائر، فأكثر ما فيه أنه اعتقد أمرًا على خلاف ما هو، فيكون ذلك الاعتقاد علمًا على غيره، والجميع من خلق الله».

الرؤيا عند الصوفية:

ذكر بعض أكابر الصوفية: «إن الرؤيا من أحكام حضرة المثال المقيد المسمى بالخيال، وهو قد يتأثر من العقول السماوية، والنفوس الناطقة المدركة للمعاني الكلية والجزئية، فيظهر فيه صور مناسبة لتلك المعاني، وقد يتأثر من القوى الوهمية المدركة للمعاني الجزئية فقط، فيظهر فيه صور تناسبها، وهذا قد يكون بسبب سوء مزاج الدماغ، وقد يكون بسبب توجه النفس بالقوة الوهمية إلى إيجاد صورة من الصور، كمن يتخيل صورة محبوبه الغائب عنه تخيلاً قويًا، فتظهر صورته في خياله، فيشاهده، وهي أول مبادئ الوحي الإلهي».

وقال الإمام محيي الدين بن العربي: «اعلم أن مبدأ الوحي الرؤيا الصادقة، وما هي بأضغاث أحلام، وهي لا تكون إلا في حال النوم، قالت عائشة رضي الله عنها: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)[1]. وإنما بدئ الوحي بالرؤيا دون الحس؛ لأن المعاني المعقولة أقرب إلى الخيال منها إلى الحس؛ لأن الحس طرف أدنى، والمعنى طرف أعلى، وألطف، والخيال بينهما، والوحي معنى، فكان بدء الوحي إنزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية المقيدة في حضرة الخيال في نوم كان أو يقظة، وهو من مدركات الحس في حضرة المحسوس، فإذا أراد المعنى أن ينزل إلى الحس فلابد أن يعبر على حضرة الخيال قبل وصوله إلى الحس، والخيال من حقيقته أن يصور كل ما حصل عند صورة المحسوس.

فإن كان ورود ذلك الوحي الإلهي في حال النوم سمي رؤيا، وإن كان في حال اليقظة سمي تخيلاً، أي: خيل إليه؛ فلهذا بدئ الوحي بالخيال، ثم بعد ذلك انتقل الخيال إلى الملك من خارج، فكان يتمثل له الملك رجلاً، أو شخصًا من الأشخاص المدركة بالحس، فقد ينفرد هذا الشخص المراد بذلك الوحي بإدراك هذا الملك، وقد يدركه الحاضرون معه، فيلقي على سمعه حديث ربه، وهو الوحي، وتارة ينزل على قلبه ﷺ فتأخذه البرحاء (أي شدة الكرب من ثقل الوحي) وهو المعبر عنه بالحال، فإن الطبع لا يناسبه؛ فلذلك يشتد عليه، وينحرف له مزاج الشخص إلى أن يؤدي ما أوحي به إليه ثم يسرى عنه فيخبر بما قيل له».

فالرؤيا لا تختص بالأنبياء، بل هي لجميع المسلمين، وتتأكد مصداقيتها بتقارب الزمان كما بشر بذلك النبي ﷺ؛ حيث قال: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثًا، ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ج١ ص ٤، ومسلم في صحيحه، ج١ ص ١٤٠.

والرؤيا ثلاث: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى، ورؤيا من تحزين الشيطان، ورؤيا مما يحدث الرجل به نفسه، وإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليصل ولا يحدث به الناس»[1].

وفيما سبق بيان لأهمية الرؤيا وحقيقتها وعلاقتها بالشريعة الإسلامية، والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، ج٤ ص ١٧٧٣.

س ٨٧

ما حكم دخول المسلم في طريقة صوفية، ولماذا تتعدد هذه الطرق، وإذا كان التصوف هو الزهد والذكر والسلوك الحسن إلى الله فلماذا لا يكتفي المسلم لمعرفة آداب وسلوك النفس بالكتاب والسنة؟

الجواب

التصوف هو منهج التربية الروحي والسلوكي الذي يرقى به المسلم إلى مرتبة الإحسان، التي عرفها النبي ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه ،فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1].

فالتصوف برنامج تربوي، يهتم بتطهير النفس من كل أمراضها التي تحجب الإنسان عن الله عز وجل، وتقويم انحرافاته النفسية والسلوكية فيما يتعلق بعلاقة الإنسان مع الله ومع الآخر ومع الذات.

والطريقة الصوفية هي المدرسة التي يتم فيها ذلك التطهير النفسي والتقويم السلوكي، والشيخ هو القيم أو الأستاذ الذي يقوم بذلك مع الطالب أو المريد.

فالنفس البشرية بطبيعتها يتراكم بداخلها مجموعة من الأمراض مثل: الكبر، والعجب، والغرور، والأنانية، والبخل، والغضب، والرياء، والرغبة في المعصية، والخطيئة، والرغبة في التشفي والانتقام، والكره، والحقد، والخداع، والطمع، والجشع.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج١ ص ٢٧، والبخاري في صحيحه، ج١ ص ٢٧، ومسلم في صحيحه، ج١ ص ٣٧.

قال تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]؛ ومن أجل ذلك فطن أسلافنا الأوائل إلى ضرورة تربية النفس، وتخليصها من أمراضها للتواءم مع المجتمع وتفلح في السير إلى ربها.

والطريقة الصوفية ينبغي أن تتصف بأمور منها:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة؛ إذ إن الطريقة الصوفية هي منهج الكتاب والسنة، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو ليس من الطريقة، بل إن الطريقة ترفضه وتنهى عنه.

ثانياً : لا تعد الطريقة تعاليم منفصلة عن تعاليم الشريعة بل جوهرها.

وللتصوف ثلاثة مظاهر رئيسة حث على جميعها القرآن الكريم، وهي:

أولاً: الاهتمام بالنفس، ومراقبتها، وتنقيتها من الخبيث، قال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[2].

ثانيًا: كثرة ذكر الله عز وجل، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[3]، وقال النبي ﷺ: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»[4].

ثالثًا: الزهد في الدنيا، وعدم التعلق بها والرغبة في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[5].

---

(١) يوسف : ٥٣.

(٢) الشمس : ٧ : ١١.

(٣) الأحزاب : ٤١.

(٤) سبق تخريجه ص ١٦١ ،في منتصف السؤال رقم ٥٣ .

(٥) الأنعام : ٣٢.

أما عن الشيخ الذي يلقن المريدين الأذكار ويعاونهم على تطهير نفوسهم من الخبث، وشفاء قلوبهم من الأمراض، فهو القيم، أو الأستاذ يرى منهجًا معينًا هو الأكثر تناسبًا مع هذا المريض، أو تلك الحالة، أو هذا المريد أو الطالب، وكان من هديه ﷺ أن ينصح كل إنسان بما يقربه إلى الله وفقًا لتركيبة نفس الشخص المختلفة، فيأتيه رجل، فيقول له: يا رسول الله، أخبرني عن شيء يبعدني عن غضب الله، فيقول النبي ﷺ: «لا تغضب»[1]، ويأتيه آخر يقول أخبرني عن شيء أتشبث به فيقول له النبي ﷺ: « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله»، وكان من الصحابة ﷺ من يكثر من القيام بالليل، ومنهم من يكثر من قراءة القرآن، ومنهم من كان يكثر من الجهاد، ومنهم من كان يكثر الذكر، ومنهم من كان يكثر من الصدقة.

وهذا لا يعني ترك شيء من العبادة ،وإنما هناك عبادة معينة يكثر منها السالك إلى الله توصله إلى الله عز وجل، وعلى أساسها تتعدد أبواب الجنة، ولكن في النهاية تتعدد المداخل والجنة واحدة، يقول النبي ﷺ: «لكل أهل عمل باب من أبواب الجنة، يدعون بذلك العمل ولأهل الصيام باب يدعون منه يقال له الريان»[2]، فكذلك الطرق تتعدد المداخل والأساليب، وفقًا للشيخ والمريد نفسه، فمنهم من يهتم بالصيام، ومنهم من يهتم بالقرآن أكثر ولا يهمل الصيام، وهكذا.

ما ذكر يبين التصوف الحق، والطريقة الصحيحة، والشيخ الملتزم بالشرع والسنة، وعلمنا سبب تعدد الطرق، لتعدد أساليب التربية والعلاج، واختلاف المناهج الموصلة، ولكنها تتحد في المقصد، فالله هو مقصود الكل.

ولا يفوتنا أن ننبه أن ذلك الكلام لا ينطبق على أغلب المدعين للتصوف، الذين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ج٥ ص ٢٢٦٧، والترمذي في سننه، ج٤ ص ٣٧١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ج٢ ص ٤٤٩، والبخاري في صحيحه، ج٢ ص ٦٧١، ومسلم في صحيحه، ج٢ ص ٨٠٨، واللفظ لأحمد.

يشوهون صورته، ممن لا دين لهم ولا صلاح، الذين يقومون يرقصون في الموالد، ويعملون أعمال المجاذيب المخرفين، فهذا كله ليس من التصوف ولا الطرق الصوفية في شيء، وإن التصوف الذي ندعو إليه لا علاقة لهم بما يراه الناس من مظاهر سلبية سيئة، ولا يجوز لنا أن نعرف التصوف ونحكم عليه من بعض الجهلة المدعين، وإنما نسأل العلماء الذين يمتدحون التصوف حتى نفهم سبب مدحهم له.

وأخيرًا نرد على من يقول: لماذا لا نتعلم آداب السلوك وتطهير النفس من القرآن والسنة مباشرة، فهذا كلام ظاهره فيه الرحمة، وباطنه من قبله العذاب؛ لأننا ما تعلمنا أركان الصلاة، وسننها، ومكروهاتها، بقراءة القرآن والسنة، وإنما تعلمنا ذلك من علم يقال له علم الفقه، صنفه الفقهاء واستنبطوا كل تلك الأحكام من القرآن والسنة، فماذا لو خرج علينا من يقول نتعلم الفقه وأحكام الدين من الكتاب والسنة مباشرة، ولن تجد عالمًا واحدًا تعلم الفقه من الكتاب والسنة مباشرة.

وكذلك هناك أشياء لم تذكر في القرآن والسنة، ولابد من تعلمها على الشيخ ومشافهته، ولا يصلح فيها الاكتفاء بالكتاب كعلم التجويد، بل والالتزام بالمصطلحات الخاصة به ،فيقولون مثلاً: «المد اللازم ست حركات» فمن الذي جعل ذلك المد لازمًا؟ وما دليل ذلك ومن ألزمه الناس؟ إنهم علماء هذا الفن. كذلك علم التصوف علم وضعه علماء التصوف من أيام الجنيد ﷺ من القرن الرابع إلى يومنا هذا، ولما فسد الزمان، وفسدت الأخلاق، فسدت بعض الطرق الصوفية، وتعلقوا بالمظاهر المخالفة لدين الله، فتوهم الناس أن هذا هو التصوف، والله عز وجل سيدافع عن التصوف وأهله وسيحميهم بقدرته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[1].

(١) الحج : ٣٨.

ولعل فيما ذكر بيانًا لمعنى التصوف، والطريقة، والشيخ، وسبب تعدد الطرق، ولماذا نتعلم السلوك وتنقية النفس من ذلك العلم المسمى بالتصوف ونأخذه عن المشايخ ولا نرجع مباشرة إلى الكتاب والسنة، ونسأل الله أن يبصرنا بأمور ديننا. والله تعالى أعلى وأعلم.

س ٨٨

هل يشعر الميت بعد موته بسلام الحي عليه وغير ذلك أو لا يشعر بذلك ؟

الجواب

إن الموت ليس فناء الإنسان تمامًا، ولا هو إعدام لوجوده الذي أوجده الله له، بل إن الموت حالة من أصعب الحالات التي يمر بها الإنسان؛ حيث تخرج فيها روحه؛ لتعيش في عالم آخر، فخروجها من الجسد الذي كانت بداخله صعب، فالموت: هو مفارقة الروح للجسد حقيقة، قال الغزالي: «ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها»[١] .

وروى أبو هريرة ﷺ؛ أن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»[٢] وقال المناوي معلقاً على نحوه: «وقال الحافظ العراقي: المعرفة، ورد السلام، فرع الحياة ورد الروح، ولا مانع من خلق هذا الإدراك برد الروح في بعض جسده، وإن لم يكن ذلك في جميعه. وقال بعض الأعاظم:

---

(١) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، ج٤ ص ٤٩٣.

(٢) أخرجه البغدادي في تاريخ بغداد، ج٦ ص١٣٧، والصيداوي في معجم الشيوخ، ج١ ص ٣٥١، واللفظ للبغدادي .و قد ذكر نحوه الحافظ ابن كثير في تفسيره ، ج٣ ص٤٣٨ من حديث ابن عباس، وعزاه لابن عبد البر، ونقل تصحيحه عنه ،وكذا الحافظ المناوي في فيض القدير، من حديث ابن عباس أيضاً، ج٥ ص ٤٨٧.

تعلق النفس بالبدن تعلق يشبه العشق الشديد، والحب اللازم، فإذا فارقت النفس البدن فذلك العشق لا يزول إلا بعد حين، فتصير تلك النفس شديدة الميل لذلك البدن؛ ولهذا ينهى عن كسر عظمه ووطء قبره»[1].

وقد صح عن النبي ﷺ؛ أنه أمر بقتلى بدر، فألقوا في قليب، ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم: «يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا، فقال له عمر: يا رسول الله، ما تخاطب من أقوام قد جيفوا، فقال ﷺ: «والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون جوابًا»[2].

فالميت يشعر ويدرك بنوع من الإدراك من جاء لزيارته ويفرح به ولهذا أمر النبي ﷺ بالسلام على الموتى؛ حيث جاء أنه ﷺ كان يعلم أصحابه ﷺ إذا زاروا القبور أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»[3].

قال الإمام النووي: «ويستحب لزائر أن يدنو من قبر المزور بقدر ما كان يدنو من صاحبه لو كان حيًّا وزاره»[4]

وقد سئل ابن تيمية رحمه الله عن سماع الميت بعد موته، فقال : «الحمد لله رب العالمين. نعم يسمع الميت في الجملة» وذكر أحاديث كثيرة ،ثم قال بعد حديث السلام

---

(١) ذكره الحافظ المناوي في فيض القدير، ج٥ ص ٤٨٧.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ج٢ ص ١٣١، وابن حبان في صحيحه، ج١٥ ص ٥٦٢، والحاكم في المستدرك، ج٣ ص ٢٤١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، ج٥ ص ٦٧٠، ومسلم في صحيحه، ج٢ ص ٦٧٠، والنسائي في سننه، ج٤ ص ٩٢، وابن ماجه في سننه، ج١ ص ٤٩٤، وابن حبان في صحيحه، ج١٦ ص ٤٦.

(٤) المجموع، للإمام النووي، ج٥ ص ٢٨٢.

على أهل القبور: «فهذا خطاب لهم، وإنما يخاطب من يسمع. وروى ابن عبد البر، عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام) .وفي السنن عنه أنه قال: (أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة) علي، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - يعني صرت رميمًا -؟ فقال: (إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء) .وفي السنن؛ أنه ﷺ قال: (إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام) .فهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا، بل قد يسمع في حال دون حال، كما قد يعرض للحي فإنه قد يسمع أحيانًا خطاب من يخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرض له، وهذا السمع سمع إدراك ، ليس يترتب عليه جزاء»[1].

قال ابن القيم: «وقد شرع النبي ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين) وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به»[2].

وبناءً على ذلك فالحق أن الميت يشعر ويستأنس ويفرح بمن يزوره ويرد عليه السلام، فليس الموت إعدامًا للوجود، بل إن الميت موجود بروحه وتتعلق تلك الروح بالجسد تعلقًا ما، نسأل الله أن يرزقنا بر أصحاب الحقوق علينا، ممن سبقونا إلى دار الآخرة بزيارتهم والسلام عليهم. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ج٣ ص ٦٠، ٦١.

(٢) الروح، لابن القيم ص ٥ .

س ٨٩

هل صحيح أن سيدنا الخضر الذي كان مع سيدنا موسى عليه السلام ما زال حيًّا، وهل هو من الملائكة أم البشر؟

الجواب

ليس من المستحيل العقلي، ولا الشرعي أن يكون الخضر عليه السلام أو غيره من الخلق حيًّا، ولا ينبغي للمسلم أن يبادر برفض كل ما لم يعتد عليه، ولم يكن في نطاق المعتاد، قبل أن يطلع على الشرع الشريف، ويرى هل هناك ما يثبت ذلك أو لا.

والله عز وجل يمد في عمر من يشاء، وقد يكون ذلك الإمداد؛ لإقامة الحجة كإنظاره إبليس عليه لعنة الله؛ فهذه ليست كرامة له ولا تشريفاً، أما غير إبليس من الصالحين كالخضر عليه السلام؛ فقد يكون ذلك كرامة له أو حِكم أخرى لا نعرفها، وقد ذكر السلف الصالح مسألة الخضر، وأنه ما زال حيًّا إلى زمنهم، وقد ذكر مسلم في صحيحه حديث الرجل الذي يقتله الدجال، وتعقيب أبي إسحاق عليه، حيث روى بسنده ،عن رسول الله ﷺ أنه قال حكاية عن الدجال: «... أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. قال: فيقتله ثم يحييه. فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن. قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه» قال أبو إسحاق: يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام[1].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، ج٤ ص ٢٢٥٦، ولم يعترض على قول أبي إسحاق.

وما رواه أنس ﷺ، عند وفاة النبي ﷺ؛ حيث قال: فدخل رجل أصهب اللحية جسيم صبيح، فتخطا رقابهم فبكى، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ؛ فقال: «إن في الله عزاء من كل مصيبة، وعوضًا من كل فائت، وخلفًا من كل هالك، فإلى الله فأنيبوا، وإليه فارغبوا، ونظرة إليكم في البلاء، فانظروا فإنما المصاب من لم يجبر» .وانصرف. فقال بعضهم لبعض: تعرفون الرجل؟ فقال أبو بكر وعلي: نعم .هذا أخو رسول الله ﷺ الخضر عليه السلام[1].

وعن أنس ﷺ كذلك، قال: خرجت مع رسول ﷺ في بعض الليالي أحمل له الطهور؛ إذ سمع مناديًا، فقال: «يا أنس، صه»، فقال: اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني منه .فقال النبي ﷺ: «لو قال أختها» ،فكأن الرجل لقن ما أراد رسول الله، فقال: وارزقني شوق الصادقين إلى ما شوقتهم إليه .فقال النبي ﷺ: «هيا يا أنس، ضع الطهور، وائت هذا المنادي، فقل له أن يدعو لرسول الله ﷺ أن يعينه على ما ابتعثه به، وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به نبيهم بالحق» .فأتيته فقلت : ادع لرسول الله ﷺ أن يعينه الله على ما ابتعثه، وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به بنيهم بالحق. فقال: ومن أرسلك؟ فكرهت أن أعلمه، ولم أستأذن رسول الله ﷺ فقلت: وما عليك رحمك الله بما سألتك؟ قال: أو لا تخبرني من أرسلك؟ فأتيت رسول الله ﷺ فقلت له ما قال. فقال: «فل له أنا رسول رسول الله» .فقال: لي مرحبًا برسول الله ومرحبًا برسوله، أنا كنت أحق أن آتيه أقرئ رسول الله ﷺ السلام، وقل له: الخضر يقرئك السلام، ويقول لك : إن الله قد فضلك على النبيين كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور، وفضل أمتك على الأمم كما فضل يوم الجمعة على سائر الأيام. فلما وليت عنه سمعته يقول: اللهم اجعلني من هذه الأمة المرحومة المرشدة المتاب عليها[2].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٣ ص ٥٨.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، ج٣ ص ٢٥٥.

وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الخضر في البحر، واليسع في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، ويحجان، أو يجتمعان كل عام ،ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل» قلت : قد ذهب من الأصل مقدار ثلث سطر[1] .

هذا بشأن ما ورد من آثار في تلك المسألة أما ما نُقل عن الفقهاء المعتمدين فهناك ما ذكره الإمام النووي رحمه الله رغم تضعيفه لقصة تعزية الخضر أصحاب النبي ﷺ يوم وفاته ﷺ، ولكنه أكد على حياة الخضر؛ حيث قال: « (وأما) قصة تعزية الخضر عليه السلام فرواها الشافعي في الأم بإسناد ضعيف، إلا أنه لم يقل الخضر عليه السلام، بل سمعوا قائلاً يقول، فذكر هذه التعزية، ولم يذكر الشافعي الخضر عليه السلام، وإنما ذكره أصحابنا وغيرهم، وفيه دليل منهم لاختيارهم ما هو المختار، وترجيح ما هو الصواب، وهو أن الخضر عليه السلام حي باق، وهذا قول أكثر العلماء»[2] .

وقد سُئل الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي -والد الشافعي الصغير الشيخ شمس الدين محمد الرملي رحمهما الله- عن الخضر وإلياس عليهما السلام؛ فقال: «أما السيد الخضر فالصحيح كما قاله جمهور العلماء أنه نبي لقوله تعالى: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾[3] ؛ ولقوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[4] ، أي الوحي والنبوة، لا وَلِيٌّ، وإن خالف بعضهم، فقال: لم يكن الخضر نبيًّا عند أكثر أهل العلم، والصحيح أيضا أنه حي، فقد قال ابن الصلاح: جمهور العلماء والصالحين على أنه حي، والعامة معهم في ذلك، وقال النووي: الأكثرون من العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق

(١) مسند الحارث بزوائد الهيثمي، ج٢ ص ٨٦٦.

(٢) المجموع، للإمام النووي، ج٥ ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٣) الكهف : ٨٢.

(٤) الكهف : ٦٥.

عليه بين الصوفية وأهل الصلاح، وحكايتهم في رؤيته، والاجتماع به، والأخذ عنه، وسؤاله، وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة أكثر من أن تحصى. اهـ. والصحيح أيضًا أنه من البشر لا من الملائكة، ومقر السيد الخضر والسيد إلياس أرض العرب»[1].

ومما ذكر فنرى ما ذهب إليه أكثر علماء الأمة يعضده ما ذكر في الآثار التي أوردناها، وهو أن الخضر عليه السلام ما زال حيًّا بين أظهرنا إلى يومنا هذا، وأنه كان بشرًا، وقد يلتقي ببعض الناس كرامة له، وكرامة لمن لقيه، ولكن لا ينبغي أن يفتح الباب للمدعين، وقد اختلف العلماء في نبوته، والصحيح أنه نبي كما ذكر العلامة الرملي ذلك، والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) فتاوى الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي، ج٤ ص ٢٢٥.